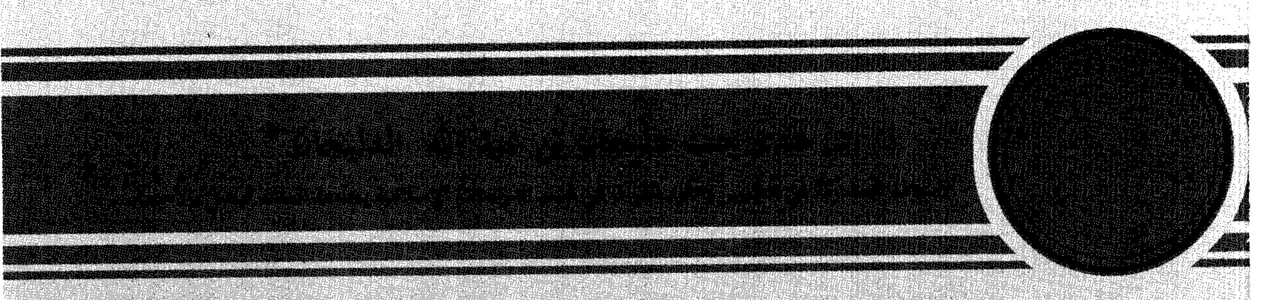
سورة الصف

دراسة تفسيرية موضوعية



* من مواليد محافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية .

• نالت درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الآداب للبنات بالدمام عام ١٤١٩هـ بأطروحتها: "**قضية المكر والكيد في ضوء القرآن الكريم**". ثم نالت درجة الدكتوراه منها أيضا في التفسير وعلوم القرآن عام ١٤٢٣هـ بأطروحتها: "**تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنْزيل (من الآية ٦١ -إلى نهاية سورة آل عمران): تحقيق ودراسة**".

• لها عدد من البحوث والدراسات المنشورة، منها: "**السكينة في الكتاب والسنة**"، "**الرشد في القرآن الكريم**"، "**كتاب التفسير في صحيح مسلم : شرح وتعليق**"، "**آية بيعة النساء في سورة الممتحنة: دلالاتها - أركانها**".

• البريد الشبكي: drhuda87@hotmail.com

الملخص

جاء موضوع سورة الصف في غاية الأهمية، وهو الدعوة إلى وحدة الصف في المجتمع المسلم، وكان ذلك في آيات قرآنية جليلة، تنوعت فيها الأساليب البيانية، والمعاني القرآنية البليغة، وترابطت تلك الآيات مع بعضها في رابطة جميلة من الألفاظ والروابط، مما يؤكد على أهمية موضوع السورة الكريمة .

وقد قسمت الموضوع الأساسي للسورة الكريمة إلى خمسة مباحث أساسية:

ففي المبحث الأول ركزت على افتتاحية السورة وما فيها من براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه.

وناقشت في المبحث الثاني موضوع السورة الأساسي وهو الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف .

وجاء في المبحث الثالث التأكيد على الأساليب القرآنية البليغة في ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء - عليهم السلام- .

ثم عالجت في المبحث الرابع ما جاء في الآيات الكريمة من الترهيب من شق الصف.

ثم ختمت البحث في المبحث الخامس بالدعوة إلى الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة فيما أشارت إليه الآيات الكريمة من الجزاء على وحدة الصف.

فاجتمع في هذه السورة الكريمة في أسلوب بليغ الدلالة على مضمون السورة العظيم وهي روعة الصف الواحد وجماله والجزاء عليه.

ثم ختمت البحث بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسِنا ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدِّين . أما بعد :

نزلت سور القرآن الكريم تعالج موضوعات مختلفة لغاية واحدة وهي بناء المجتمع المسلم الصالح، وقد اختلفت تلك السور الكريمة في طريقة معالجة موضوعاتها وذكر أقاصيصها لحكمة ربانية، لتدل دلالة قاطعة على نزول القرآن الكريم من اللطيف الخبير، قال تعالى :﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف:١-٤].

واختلفت السور القرآنية في طولها وقصرها ووحدتها الموضوعية، و سورة الصف في قول الجمهور من السور المدنية(١)، وتضمنت موضوعا في غاية الأهمية؛ وهو الصف.

من أجل هذا كان موضوع السورة مستمدا من اسمها الكريم (سورة الصف) كما جاء في الصحيح(٢).

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٢٥٨)، ونقل الإمام الرازي في تفسيره (٢٩/ ٢٦٩) أنها مكية ، وهو قول ابن عباس ومجاهد في رواية.

(٢) ترجم الإمام البخاري في صحيحه ، في كتاب التفسير، باب (٦١): «سورة الصف»، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٨/ ٦٤١): «ويقال لها أيضا سورة الحواريين»، وقال الإمام السيوطي في الإتقان (١/ ١٥٨): «سورة الصف: تسمى أيضا سورة الحواريين». وقال الإمام ابن عقيلة المكي في كتابه: الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٣٧٥): «وقد ثبت جميع أسمائها عن النبي ﷺ بالأحاديث والآثار».

واشتهرت بذلك [١].

وكان اهتمام القرآن الكريم في هذه السورة بالتأكيد على أهمية الصف في بناء المجتمع المسلم، ومظاهر وحدة الصف في القول والفعل، ووسائل تطبيقه، وآثار معوقاته في الأمم السابقة، وضرب لذلك مثالين من بني إسرائيل في قصة موسى وعيسى - عليهما السلام-، فجاءت الآيات الكريمة في السورة مترابطة ومتراصة لتبين دعوة القرآن الكريم إلى وحدة الصف.

وظهر في أسلوب الآيات الكريمة جمال أساليب الخطاب القرآني الكريم في التنويع بين الأمر والنهي والتعجب والاستفهام والترغيب والترهيب للدلالة على أهمية وحدة الصف للمسلمين، وما يتعلق به من الجزاء الحسن و النصر في الدنيا والآخرة.

ومع أهمية هذا الموضوع في البناء الاجتماعي في الإسلام وضرورة بنيان الصف الواحد في جميع مجالات الحياة ، ودوره في نصرة الأمة الواحدة ، إلا إنه قد أغفل ذكره في كثير من الكتابات المعاصرة، والوسائل الإعلامية المختلفة، فكان من الأهمية بمكان الالتفات إلى الكتابة في وحدة الصف، وآثارها في الأمة الإسلامية، والصورة المثلى الرائعة من تطبيق الرسول الكريم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبناء هذا الصف، الذي هو بناء فريد من نوعه على مر الأزمان والأجيال، وإضافة مثل هذه الموضوعات البحثية إلى المكتبة العربية والإسلامية للدلالة على عظمة هذا الكتاب الكريم، وجمال سوره وآياته، وأهمية موضوعاته في كل زمان ومكان.

---

(١)) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، (٢٨/ ١٧١)، قال : «وكذلك كتب اسمها في المصاحف وكتب التفسير».

فكانت دعوة القرآن الكريم لبناء الصف الواحد في المجتمع المسلم دعوة كريمة، من أجل هذا اخترت هذا الموضوع للكتابة فيه في بحث بعنوان: ((**سورة الصف: دراسة تفسيرية موضوعية**)).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- يعد موضوع وحدة الصف من الموضوعات المهمة في بناء المجتمع، ولا تزال تتجدد أحكام المجتمع وقضاياه في هذا العصر، فكانت دعوة القرآن الكريم في بناء الصف المسلم، وتوحيد كلمته أنموذجا رائعا وفريدا يناسب كل زمان ومكان.
- بعد التتبع والاستقصاء للدعوة إلى وحدة الصف في القرآن الكريم وجدت أن هذه الدعوة الكريمة وردت بوضوح وجلاء في سورة الصف بالنص عليها، وتخصيص سورة كاملة مدنية لمعالجة هذا الأمر المهم في بناء الأمة المسلمة فأردت تسليط الضوء عليها ودراستها.
- كثرة الخلافات الاجتماعية وازدياد القطيعة بين أبناء المجتمع، وازدياد نسبة التنازع والشقاق بين الأفراد المسلمين، فأردت أن أبين ما في القرآن الكريم من علاج ناجع ودواء شاف لكل هذه الخلافات، كما بينها القرآن الكريم في سورة الصف، والإسهام في وضع لبنة طيبة في بناء مجتمع صالح وآمن.
- إن هذا الموضوع لم يسبق بحثه وتناوله من ناحية تفسيرية، فأحببت أن أجمع الآيات الكريمة المتعلقة بالدعوة إلى وحدة الصف، وأن أبين تفسيرها وفوائدها النافعة للصف المسلم في كل زمان ومكان.

فاستخرت الله تعالى أن يعينني في كتابة هذا البحث وجمع فرائده في هذه المباحث.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لسورة الصف، وتقسيمها إلى مباحث، وما يتعلق بها من فوائد قرآنية ومسائل علمية، واتبعت في المنهج ما يلي:

١- تقسيم السورة إلى مقاطع موضوعية متناسبة - بحسب ما ظهر لي- في مباحث، وذلك لدراسة كل مبحث بما يتضمنه من الآيات وما بينها من الدلالات والروابط، وما يتعلق بها قبلها وما بعدها من المقاطع.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السورة ورقم الآية.

٣- عزو الأحاديث النبوية إلى الصحاح والمسانيد والسنن ، ببيان من أخرجه، وأقدم الصحيحين أولا ثم من أخرجه في السنن، بكتابة الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة.

٤- عزو الأقوال إلى قائليها من المفسرين والعلماء والباحثين؛ بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة في حاشية الصفحة، فإن كان فيه تصرف مني قلت في الحاشية: (بتصرف)، وإن أفدت الفكرة من أحد المراجع قلت: انظر.

٥- اجتهدت في بيان دعوة القرآن الكريم إلى وحدة الصف بالحق الواضح البين في هذه السورة الكريمة.

٦- الاهتمام ببيان الروابط اللفظية والمعنوية بين الآيات الكريمة، وترتيبها في جداول تسهيلا على القارئ الكريم، فكانت السورة الكريمة في ترتيب آياتها ودلالتها على موضوعها كالبنيان المرصوص في ترابطها اللفظي والمعنوي.

٧- ختم البحث بما تضمنه من نتائج وتوصيات.

خطة البحث:

وينقسم هذا البحث في موضوع السورة الكريمة إلى مقدمة و خمسة مباحث:

المبحث الأول: ويتضمن افتتاحية السورة: براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه.

المبحث الثاني: موضوع السورة الأساسي وهو الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف .

المبحث الثالث: ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء - عليهم السلام- .

المبحث الرابع: الترهيب من شق الصف.

المبحث الخامس: الترغيب في الجزاء على وحدة الصف.

ثم الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وفي الختام: أسأل الله الكريم أن يوفقني لتدبر كتابه والعمل بمحكمه والوقوف عند مشتبهه، وما كان في هذا البحث من فضل وعلم فهو من الله العليم الخبير، وما كان فيه من تقصير أو خطأ فهو من نفسي، فاستعيذ بالله من الخطأ وأعود إلى الحق، والله أسأل أن يهيئ لي من أمري رشدا.

المبحث الأول

براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه

تعد سورة الصف من السور المدنية القصيرة، والتي أنزلها الله جل جلاله لحكمة عظيمة وهي معالجة الصف المؤمن، وقد تناولت السورة في موضوعها الأبرز في السورة وحدة الصف، لذا كان الاستهلال بهذه الآية الكريمة مدخلا رائعا لضمان تصوير الموضوع الكبير في المجتمع المسلم وهو وحدة الصف.

فينقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب وهي:

المطلب الأول : براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته

قال تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الصف:١].

ابتدأت هذه السورة العظيمة بالتسبيح لله تعالى، وبدأت بالجملة الاسمية ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ في إقرار بليغ لاستجابة الإنسان لتسبيح ملكوت السموات والأرض لله، ممثلة في شكر الله وتنزيهه وتقديسه والثناء عليه، ويضيف حرف الجر(اللام) على لغة التسبيح والثناء معنى شعوريا بأن كل ما في السموات والأرض من الشجر والحجر والمخلوقات يسبح الله، «أي شهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات الحميدة، جميع من في السموات والأرض»[(١)].

وفي إضافة اللام لاسم الجلالة الله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ معنى عظيم، فهي« إما للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له، أو للتعليل، أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه، ومجيئ فعل التسبيح في بعض الفواتح ماضيا، وفي البعض مضارعا للإيذان بتحققه في جميع الأوقات، وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته، كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون

---

(١) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (٢٩/ ٢٦٩) .

الليل والنهار لا يفترون»[1].

والتعبير بالجملة الاسمية ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، يتضمن معنى الدوام والثبات والاستقرار، وهو معنى جميل يناسب ما سيأتي من الأمر العظيم في الوحدات المتتالية من السورة.

وذكر الله تعالى هذين الاسمين لما فيهما من الدلالة العظيمة على معاني السورة .

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ «من عز إذا غلب، وهو الذي يغلب غيره، أي شيء ذلك كان الغير، ولا يمكن أن يغلب عليه غيره، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ : من حكم على الشيء إذا قضى عليه، وهو الذي يحكم على غيره، أي شيء كان ذلك الغير، ولا يمكن أن يحكم عليه غيره»[2].

وفي اختيار هذين الاسمين في صدر السورة وما تضمنته السورة من الدعوة إلى وحدة الصف لضرورة اللجوء والاستعاذة والاستغاثة بالعزيز الحكيم في مواجهة ما يهم الإنسان من قول أو عمل ، فإذا توجه إليه مسبحا خالصا متيقنا بعزته وحكمته لم يضل في هذه الدنيا، وكان في هذه الافتتاحية من الروابط العظيمة الدالة على وحدة الصف والدعوة إليه ليتم النصر للأمة جمعاء في كل أمورها ووعدها بالخير وجزائها في الدنيا والآخرة ، فجاءت هذه الافتتاحية الكريمة فيها من البدائع واللطائف والمعاني التي تضمنتها هذه الألفاظ النورانية الإلهية ما يدل على عظم هذه الدعوة إلى الصف بما تضمنته هذه السورة.

المطلب الثاني : براعة الاستهلال وروابط السورة

تنقسم الروابط في القرآن الكريم بحسب الأسلوب البياني إلى روابط لفظية

---

(١) تفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، محمد بن محمد بن أبي السعود العمادي (٨/ ٢٠٣) .

(٢) التفسير الكبير، (٢٩/ ٢٦٩) .

وروابط معنوية بحسب سياق الآيات الكريمة، وقد ترابطت السور في القرآن الكريم بشكل معجز حتى تلتحم السورة بما قبلها وما بعدها، وهذه القضية البيانية الكبرى تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر في أقوال المفسرين في السورة لنصل إلى فهم هذه الروابط البليغة.

«فالرغبة في فهم الخطاب القرآني تدفعنا إلى أن نلجأ إلى المخزون المعرفي الذي يمدنا به السياق القرآني المحيط في إطاره الثقافي الذي ينشطه تداول اللغة ، وإدراك لأنماط التراكيب اللغوية ، والروابط الدلالية إدراكا معرفيا، فالنص القرآني الكريم وحدة لغوية كبرى، تنتج المعنى على نحو لا يكتمل فهمه وتفسيره إلا بالاستعانة بعناصر داخلية يتميز بها نظامه، إضافة للعناصر الخارجية، والتي تعتمد على تفسير النص بالنص، وكل نص من النصوص القرآنية يستدل منه على إضافة أفكار ومعلومات جديدة تمثل جزءا من رسالة الاتصال التي يقوم النص بإبلاغها»[(١)].

لأجل هذا استعنت بالله في بيان هذه الروابط النصية في سورة الصف ، وحاولت إيضاح الظاهرة المعرفية الكبرى في الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة وارتباطاتها الداخلية والخارجية في السورة التي قبلها والتي بعدها.

المطلب الثالث: الترابط بين موضوع سورة الممتحنة وموضوع سورة الصف

سورة الصف هي إحدى السور الفريدة التي تحدثت عن قضية مهمة في بناء المجتمع، وهي وحدة الصف، فكان من الأهمية بمكان التركيز على بناء الوحدة الموضوعية بين السور الكريمة المتقاربة لسورة الصف لاستنباط الارتباطات اللفظية والمعنوية بين سورة الصف، و ما قبلها وهي سورة الممتحنة، وبما بعدها

---

(١) الترابط النصي في سورة الكهف، (د) حسني عبد السميع، مجلة الدراسات القرآنية، المجلد التاسع، العدد الثاني، مركز الدراسات الإسلامية: كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، ٢٠٠٧م ، ص٢٤٧.

وهي سورة الجمعة.

فيشير موضوع سورة الممتحنة إلى قضية مهمة وهي شق صف المؤمنين بإظهار المحبة والموالاة لفريق من الكافرين الذين عادوا الله ورسوله، ومنعوا إقامة الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وتتوالى المعاني العظيمة في سورة الممتحنة للتأكيد على قضية الموالاة والمعادة لله تعالى وأهمية التعامل الحسن مع المخالفين من الأمر بالبر والقسط بين الناس، وفيها دعوة كريمة لأن تكون الأمة المسلمة كلها في صف واحد متسمة بالبر والقسط مع المخالفين وإن اختلفت عقيدتهم، فتأمر بإعطاء كل ذي حق حقه، خاصة الذين لم يقاتلوا المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يمنعوهم من إقامة شعائر دينهم كما قررت ذلك الآيات الكريمة.

ثم جاءت سورة الصف لتبني الوشائج الأساسية في المجتمع المسلم وهي وحدة الصف ، في تقرير مبدأ عظيم، وهي ضرورة الموافقة بين الأقوال والأعمال، وبيان خطورة مخالفة الأفعال للأقوال وسوء عاقبة تناقضهما ، «فمن أهم أغراض السورة التحذير من إخلاف الوعد، والالتزام بواجبات الدين»[(١)].

وقد اختتمت سورة الممتحنة ببيان أمر مهم، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

ففي هذه الآية الكريمة التحذير من موالاة ومحبة أعداء الله الذين أغضبوا الله

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٧٣)(بتصرف) .

وكفروا بأنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه سواء بأقوالهم وأفعالهم السيئة ، وضرب لذلك مثلا لتقريب حقيقة جزائهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ، ففيها تهديد وتشنيع بالكافرين الذين قبروا إخوانهم ، فتبين لهؤلاء المقبورين سوء حالهم وسوء منقلبهم[1].

من أجل هذا ابتدأت سورة الصف بتسبيح الله وتعظيمه في ملكوت السموات والأرض، وتوجه جميع المخلوقات العظيمة بهذه العبادة لله العزيز الحكيم.

ومع تنوع اشتقاقات التسبيح في القرآن الكريم، فالافتتاح بالتسبيح له دلالة عظيمة في السورة.

فالتسبيح يتضمن معنى الانقياد لله تعالى، والقبول بألوهيته، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، فقد بدأت سورة الصف بالتعليق على العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، بأن يكونوا معا في صف واحد مع المخلوقات العظمى في السموات والأرض من التسبيح والتقديس والثناء لله وحده.

المطلب الرابع: الترابط بين افتتاحية سورة الصف وافتتاحية سورة الجمعة

بحسب ما جاء في افتتاحية السورتين بالترابط بينهما بالتسبيح لله عز وجل، واستعمال صيغة الماضي في سورة الصف ، وصيغة المضارع في سورة الجمعة لتنويع الأغراض بين السورتين.

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١].

فالغرض الأساسي من سورة الصف الدعوة إلى وحدة الصف بين جموع

---

(١) انظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، للزمخشري، ص١١٠٢.

المسلمين، والحاجة إليه ثابتة مع تغير الزمان والمكان، ثم جاءت سورة الجمعة لتوصيف وحدة الصف بالحرص على صلاة الجمعة والالتزام فيها ،«فجاء فيها فعل التسبيح مضارعا، وجيء به في سواها ماضيا، لمناسبة فيها وهي: أن الغرض من التنويه بصلاة الجمعة والتنديد على نفر قطعوا صلاتهم، وخرجوا لتجارة أو لهو، فمناسب أن يحكى تسبيح أهل السموات والأرض، بما فيه دلالة على استمرار تسبيحهم وتجدده، تعريضا بالذين لم يتموا صلاة الجمعة»(1).

فإحدى المناسبات المهمة بين السورتين هي هذا الارتباط العظيم بين براعة الاستهلال في السورتين، فالترابط المعنوي في خدمة قضية الصف الواحد المأمور به في سورة الصف، والتحذير من أي حادثة أو واقعة تظهر صف المؤمنين ضعيفا ، لذا كان في افتتاحية سورة الجمعة ذكر أسماء الله الحسنى للتأكيد على الاستسلام للأمر الإلهي الكريم فأتى بذكر ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾ وهما من أعظم الأسماء الحسنى الدالة على ملكوته وقدسيته بما يناسب تسبيحه والثناء عليه والاستجابة لأوامره ونواهيه.

ومناسبة الجمع بين هذه الصفات﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ في هذه الآية الكريمة لما اتصف به الله جل جلاله من الملك العظيم وكمال القداسة والنزاهة عن العيب، ثم جاء ذكر اسم الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي ذلت لعزته الأشياء، فلا عز إلا به ، ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ الذي تصدر منه الأفعال الحكيمة ، فكان من الواجب بعد هذا الاستهلال العظيم الاستجابة لما ورد في السورة من أوامر ونواه لائقة بجلال الله وعزته وحكمته.

فسورة الجمعة فيها أمر كريم بوجوب المحافظة على صلاة الجمعة لجعل صف

---

(1) التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٠٦) .

المؤمنين واحدا في ذلك اليوم العظيم، فموضوع السورة تتمة لما سبق في سورة الصف من الدعوة إلى وحدة الصف، التي تتجلى واضحة في تطبيقها الكريم في صلاة الجمعة الكريمة.

فيلاحظ في افتتاحية السورتين ورود لفظ التسبيح ، وختم الآية بالعزيز الحكيم، وما تضمنته هذه الافتتاحية من براعة الاستهلال وما فيها من المعاني العظيمة.

من أجل هذا أختم هذا المبحث ببيان مميزات افتتاحية سورة الصف بارتباطها العظيم بالوحدة الموضوعية لخاتمة السورة التي قبلها وهي سورة الممتحنة، وافتتاحية السورة التي بعدها وهي سورة الجمعة، وبيانه في الجدول التالي:

جدول رقم (١)

اسم السورة	الآية	موقع الآية	الرابط	نوع الرابط
الممتحنة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾	خاتمة السورة	النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	معنوي فالخطاب للمؤمنين المسبحين لله أي: لا تتولوا هؤلاء وسبحوا الله وتولوا من يسبح الله من المؤمنين الصادقين.
الصف	﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾			
الجمعة	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	فاتحة السورة	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾	لفظي وجاء في سورة الصف بالماضي وفي سورة الجمعة التسبيح بالمضارع للإيذان بالتسبيح في كل وقت وعلى كل حال

المبحث الثاني

موضوع السورة الأساسي الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف :٢-٤].

ابتدأ هذا المقطع العظيم بدلالة مباشرة على مضمون السورة البديع وموضوعها الأساسي وهو وحدة الصف، ومظاهره، وآثاره على الصف المسلم، وذلك بأسلوب صريح يتضمن الأمر والنهي للمؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وهم الذين أخلصوا العبادة لله وحده، في مكاشفة صريحة يعلمها الله العزيز الحكيم بما تنطق به ألسنتهم، وفي ذلك علاج لكثير من الأخطاء التي قد تقع فيها الجماعة المسلمة في بداية طريق الدعوة إلى الله، مثل تمني فعل بعض الأمور الخيرة دون إرادة تطبيقها فعلا .

«فالقرآن الكريم يبني أمة ، لتقوم على أمانة دينه في الأرض، ومنهجه في الحياة، ولم يكن بد أن يبني نفوسها أفرادا ، ويبنيها جماعة، فالمسلم لا يبني فردا إلا في جماعة، ولا يتصور الإسلام قائما إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط، ذات انتظام، وذات هدف جماعي، فالإسلام جاء ليحكم البشرية، والبشرية لا تعيش أفرادا ، إنما تعيش جماعات، ومن ثم فإن آداب الإسلام ونظمه كلها مصوغة على هذا الأساس»(١) .

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾الخطاب للمؤمنين بتقريبهم، وتحبيب الإيمان إلى قلوبهم، «فناداهم بوصف الإيمان تعريضا بأن الإيمان من شأنه أن يزع المؤمن

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦/ ٢٥٥٢-٢٥٥٣)(بتصرف).

عن أن يخالف فعله قوله في الوعد بالخير»[1].

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عبارة صريحة بليغة لكشف ما لدى هؤلاء الفئة من المؤمنين من الخطأ، «وفيها إنكار على من يَعِدُ عِدَةً، أو يقول قولا لا يفي به، سواء ترتب عليه غرم للموعود أم لا»[2].

وقد جاء الأمر بإيفاء الوعود وموافقتها للأفعال، و الترهيب من ذلك، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان**))[3].

فتضمنت الآية التحذير من مناقضة الأفعال للأقوال، وإخلاف الوعود، وإطلاق الأماني الكاذبة، والسبب الباعث على ذلك، واستعمل أسلوب الاستفهام التقريري﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كناية عن اللوم، أي لأي سبب؟ أو لأية علة تقولون ما لا تفعلون؟

وقد امتدح الله تعالى الصدق في أكثر من آية، قال تعالى:﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، من أجل هذا كانت هذه الآية﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قوية في معناها وفي مبناها الكريم، لأن مخالفة الأقوال للأفعال هي مناقضة للصدق، «فالصدق في الأعمال هو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، وأن يجاهد العبد نفسه في أن تكون سريرته وعلانيته واحدة، وأن لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه

---

(١) التحرير والتنوير،(٢٨/ ١٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن أبي كثير،(٨/ ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب(٢٤) علامات المنافق، ح(٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب (٢٥)خصال المنافق ،ح(١٠٦) وزاد مسلم به :في رواية ح(١٠٩) ((**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**)).

أو ما يدعو إليه قولا ، ثم لا يتصف به حقيقة»[1].

كما أن سبب نزول الآية يقرر هذه الدعوة القرآنية الكريمة في وجوب الصدق وموافقة الفعل القول، فقد ورد عن عبد الله بن سلام ﷺ، قال: ((تذاكرنا، أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله:أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله إلينا رجلا، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها)) [2].

فكأنما هذا السبب من الاجتماع وتذاكر الأمنيات باعث على أن يكون نزول هذه الآيات الكريمة عتابا لأولئك النفر الكريم الذين جاء ذكرهم في القصة .

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فالمقت هو شدة البغض، ووصف الله تعالى مخالفة الأفعال للأقوال بهذا الوصف الشديد من البغض والغضب بوصفه﴿مَقْتًا﴾، ثم ذكر الله تخصيص هذا الوصف بأنه﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأن هذا الفعل الشنيع لا مجال للتسامح فيه، فزاد الأمر اهتماما وتعظيما ، وتحذيرا منه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: «بئس مقتا قولكم هذا، وقيل: هو من أبنية التعجب، أي: ما أكبره مقتا، ومعنى التعجيب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرائه وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا ، ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره، دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقتا خالصا لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه لأنه أشد البغض، ولم يقتصر على أن جعل البغض كثيرا حتى جعل أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، (١/ ٢٧٦) (بتصرف).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، المسند، (٥/ ٤٥٢)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب(٦١) ومن سورة الصف، ح(٣٣٠٩)، والواحدي، في أسباب النزول، ص٤٢٦، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٨/ ٦٤١)، وقال عنه الألباني: صحيح الإسناد، صحيح جامع الترمذي، ص٥٢٤.

كِبَرُ مَقتَه عند الله فقد تم كبره وشدته»[(١)].

وفي هذه الآية تصريح بشدة هذا الفعل وشناعته، وضرورة تحذير الجماعة المؤمنة من الوقوع فيه، لأنه يسبب داءا مؤلما يؤدي إلى فرقة الأمة وتشتتها بسبب انتشار الأقوال المخالفة والأماني الكاذبة والوعود الزائفة، مما يسبب خطرا كبيرا على وحدة صف الجماعة المؤمنة وقدرتها على إيفاء الوعود، وتحقيق فعل الخير في المجتمع.

«فهاتان الآيتان تتضمنان العقاب من الله سبحانه، والاستنكار لأن يقول الذين آمنوا مالا يفعلون، وهما بهذا ترسمان الجانب الأصيل في شخصية المسلم؛ الصدق والاستقامة، وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق قوله فعله»[(٢)].

لأجل هذا كان الأمر الإلهي بالبناء الأخلاقي الكريم في صياغة المجتمع المسلم ليكون المسلم الفرد في ظل جماعته المنظمة على استعداد تام للمسؤولية الكبرى، وهي مسؤولية الجهاد في سبيل الله، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾، مدح وثناء على هذه الفئة المخصوصة التي قامت بالفعل الواجب على أكمل وجه، وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فإذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله كانوا كأنهم بنيان مرصوص من وحدة الكلمة ووحدة الفعل ووحدة الصف.

«والوصف بالبنيان المرصوص: لفظ فريد من نوعه في القرآن الكريم جمع فيه بين جمال المعنى وسلاسة اللفظ ودقة التصوير.

فالصف: عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن، فيطلق على صف المصلين،

---

(١) تفسير البحر المحيط، (٨/ ٢٥٨)(بتصرف).

(٢) في ظلال القرآن، (٦/ ٣٥٥٣).

وصف الملائكة، وصف الجيش في ميدان القتال فرادى أو جماعات، رجالة أو فرسانا، فالصف هنا كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر»[(١)].

والبنيان هو: العلم القائم الشاهد من الأرض، والمرصوص: المتلاصق بعضه مع بعض، «أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة و خلل، ببنيان رص بعضه إلى بعض، ورصف حتى صار شيئا واحدا»[(٢)].

و«قيل: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ : بالرصاص»[(٣)].

وفي هذا اللفظ تشبيه عظيم بالثبات وعدم الاهتزاز أو التردد أو الانفلات، ويقتضي ذلك المدح التام بمن أحبهم الله تعالى وقاموا بهذا الفعل العظيم.

فالخطاب القرآني الكريم ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ «هي صورة يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم، وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه اللفظ القرآني المبدع ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، بنيان تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها، فهو التعبير المصور لطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة»[(٤)].

وقد وصف النبي ﷺ أهل الإيمان الذين قاموا بأركان الإيمان وواجباته وآدابه بالبنيان، وفي ذلك تأكيد لمفهوم هذه الآية ووصف المؤمنين ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((**المؤمن للمؤمن**

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٧٦).

(٢) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب(٦١)تفسير سورة الصف، معلقا.

(٤) في ظلال القرآن، (٦/ ٢٥٥٤)(بتصرف).

كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه))[١].

«ولا شك أن هذه الآية الكريمة فيها خلاصة لمبادئ الإسلام الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها في دينهم ودنياهم، فهم صدقوا مع الله ومع خلقه بمطابقة أفعالهم لأقوالهم،والترجمة عما في قلوبهم من الإيمان ، فإن الإيمان ليس بالدعاوى بل بالأعمال التي تبرهن عما في القلب»[٢].

وقد دعا القرآن الكريم في الكثير من الآيات إلى الإخاء والألفة والاجتماع والتعاون والاعتصام[٣] تحقيقا لوحدة الصف وإظهارا لآثار هذه الوحدة الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣] ، ففي هذه الآية أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرق، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، ووحدة الصف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله ﷺ[٤].

وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة الصف كمفهوم قرآني متميز تتكامل فيه المفاهيم الاجتماعية الرائعة مثل: الاعتصام والألفة والإخاء، فهذه المصطلحات والمفاهيم القرآنية تكمل بعضها بعضا.

« فالمفاهيم القرآنية مشروعات كبرى للمعاني والدلالات، وهي شبيهة بالكائن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب(٣٦) تعاون المؤمنين بعضهم بعضا،ح(٦٠٢٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب (١٧): تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح(٢٥٨٥).

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل،(١/ ٢٨٤) (بتصرف).

(٣) للاستزادة: انظر:موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، في مفاهيم: الاجتماع (الاتحاد)، الإخاء، الاعتصام (١/ ٤٢-٩٢،٥٣-٤١٠،١١٧-٤١١)، ولم يذكر الآية.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٩١-٩٢).

الحي، والمفهوم وعاء معرفي جامع له هوية كاملة، وله سيرة كاملة تعرف: الميلاد، والجذر التأسيسي اللغوي والاصطلاحي والشرعي، والحركة التي يتفاعل فيهما بناظمه مع شتى المتغيرات، ولا يمكن بناء أي مفهوم بمعزل عن المفاهيم الأخرى، وليست المفاهيم وحدات متماثلة، بل لكل مفهوم أركانه، وعلاقاته الأساسية مع عائلته من المفاهيم الفرعية المرتبطة به»[1].

كما أن الصف من المفردات القرآنية التي تعني: «أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأحجار، ونحو ذلك»[2].

من أجل هذا المعنى كانت وحدة الصف مفهوم اجتماعي عملي يشمل في مسيرته اللغوية والاصطلاحية معان، مثل: الاعتصام والائتلاف والإخاء والاجتماع، وهذا ما ورد في السور القرآنية السابقة لسورة الصف في الترتيب القرآني المعجز، ثم جاء مفهوم وحدة الصف شاملا لكل المعاني ، فالوحدة تعني عدم التجزؤ وعدم قبول الانقسام بأي حال من الأحوال[3].

ومما لا شك فيه أن «الوحدة تعني في أسمى معانيها تقاسم أبناء الأمة مشاعر الحزن والسرور التي تغشى حياة كل بقعة من بقاعها، أو كل فرد من أفرادها، وضرورة العمل والتكامل من أجل إزالة آثار الآلام والأحزان، التي تحل بفرد أو جماعة من أبناء الأمة، إيمانا منها بأن المستقبل واحد، والمصير واحد، والغاية في الحياة واحدة»[4].

ولهذا كان تحقيق وحدة الصف في هذا البنيان العظيم وضرورته في حياة المؤمن

(١) خارطة المفاهيم القرآنية، (أ.د) السيد عمر، ص٨ (بتصرف).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ص٢٨٥.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (وحد)، ابن منظور، (١٥/ ٢٣٣).

(٤) كلمة التحرير، مجلة وحدة الأمة، السنة الثانية، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠٠٤م ، (مقال) ص٣.

اليومية بأن وضعت صلاة الجماعة شعارا رائعا لوحدة الصف ، قال الإمام ابن حجر: «لعل الفائدة من صلاة الجماعة هي اجتماع المسلمين مصطفين كصفوف الملائكة»[١].

وقد جاء هذا في نص الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ في خصائص هذه الأمة العظيمة ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجدا وطهورا، وجعل تربتها لنا طهورا إذا لم نجد ماء...**))[٢].

وجاء في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ قال: ((**لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**))[٣]، والمعنى «يوقع بينكم العداوة والبغضاء، وهو المقصود من اختلاف الوجوه، لأن في مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن»[٤].

فيضاف إلى معنى الصف الواحد أهمية تقاسم مداد المشاعر الأخوية، وهو ضرورة للتواصل والتناصر والتآزر بين أبناء الأمة الإسلامية، وبهذه الوحدة تظهر عزة المسلمين وقوتهم، وتمكن الحق في الأرض ، ويساعد المجتمع المسلم على التحرر من التبعية الفكرية والحضارية، ومواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية بالإعداد لها بوحدة الصف في الأقوال والأعمال.

والجدول التالي يوضح موضوع السورة الكريمة وروابطها النصية في الآيات:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب(٥٣)المساجد ومواضع الصلاة،ح(٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب(٧١) تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، ح(٧١٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب(٢٨)تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها والازدحام ح(٤٣٦).

(٤) شرح صحيح مسلم ، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (١/ ١١٤) (بتصرف).

جدول رقم (٢)

الآية	الكلمة	نوع الرابط	التوضيح
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾	لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ	لفظي	التعجب من مخالفة الأفعال للأقوال، فالأساس الذي تقوم عليه وحدة الصف موافقة الفعل القول.
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾	صَفّٗا	لفظي	توضيح أهم مجالات وحدة الصف في الجهاد في سبيل الله
	بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ	لفظي	أهم الآثار الظاهرة لوحدة الصف تراص البناء وإحكامه وإتقانه فلا ينفذ منه الأعداء بأي حال من الأحوال

المبحث الثالث

ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء-عليهم السلام-

من الأساليب البديعة في القرآن الكريم استعمال ضرب المثل لتقريب الكلام إلى الأفهام ، ونقله في صورة حسية بليغة، كما إن المثل في القرآن الكريم يخرج اللفظ الخفي إلى معاني واضحة جلية ، ويدني البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعة ووضوحا ، ويكسبها جمالا ، فتقترب المسافات، ويصبح الأشخاص في صورة نفسية متقاربة، وهذا ما يدل عليه ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء جميعا، قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١].

فالأنبياء يشتركون جميعا في دعوة أقوامهم إلى الحق والتوحيد، ويظهرون كصف واحد، فيحملون دعوة واحدة لبيان طريق الخير والهدى وسبل الرشاد، ومع جمال الصف الواحد إلا أن من أقوامهم من آمن ، ومنهم من كفر.

ومن الدلالة على وحدة الصف بين الأنبياء في صفوفهم وَصْفُهُم كالبنيان المرصوص، وهو ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين))**[1].

فالنبوة بنيان جميل أهداه الله تعالى لخير البشرية أجمعين، وكل نبي هو لبنة من هذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب (١٨) خاتم النبيين ﷺ ، ح(٣٥٣٥).

البناء الإلهي العظيم، من أجل هذا كانت رسالتهم واحدة في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والأنبياء - عليهم السلام- مع عظم مقامهم و أهمية وظيفتهم إلا أنهم تعرضوا جميعا لأصناف الأذى، وفي هذا دلالة على وحدة صف الأنبياء، وتشابه مواقف أقوامهم.

وبالإشارة إلى الخطاب القرآني الكريم الذي يعزز أهمية وحدة صف المؤمنين في هذه السورة الكريمة، وذلك بأن ضرب لهم مثلين من قصص الأنبياء السابقين ليدلل على أهمية الإيمان واشتراك الأنبياء جميعا - عليهم السلام- في صف واحد مع نبينا محمد ﷺ ، فضرب المثل في هذه السورة الكريمة بقصتين متقاربتين فيما حصل للأنبياء - عليهم السلام- مع ما حصل لنبينا محمد ﷺ ، وهما: قصة موسى عليه السلام مع قومه، وقصة عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، ليبين مقام هذه الأمة الكريمة بين الأمم ، وضرورة وحدة صفها ، فلا يحصل لها مثل ما حصل في الأمم الأخرى التي تفرقت واختلفت ، فكان جزاؤها شقاء في الدنيا والآخرة .

وقسمت هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : وحدة الصف في قصة موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الصف:٥-٦].

ورد في هذا المقطع من السورة الكريمة تأكيد كبير لما جاء في الآيات الكريمة السابقة من الأمر بوحدة الصف، فجاءت هذه الآيات الكريمة تطبيقا عمليا لهذا الأمر الرباني ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾، وهكذا جاءت قصة موسى وندائه لقومه مثالا تطبيقيا لوحدة الصف بين أنبياء الله.

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ «الواو واو العطف، وهو عطف غرض على غرض، وهو المسمى عطف قصة على قصة، ويجوز أن يكون من تتمة الكلام الذي قبلها، ضرب الله مثلا للمسلمين لتحذيرهم من إتيان ما يؤذي رسول الله ﷺ، ويسوؤه من الخروج عن جادة الكمال الديني ، مثل عدم الوفاء بوعدهم في الإتيان بأحب الأعمال إلى الله تعالى، وأشفقهم من أن يكون ذلك سببا للزيغ والضلال كما حدث لقوم موسى لما آذوه»[1].

و تضمنت هذه الآية دعوة صريحة لإعادة البناء وتراص الصفوف بدلالة قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ فنسبهم موسى إلى نفسه تقريبا لهم، وتحبيبا لقوة الانتماء فيما بينهم من روابط النسب والقرابة والدين، وهذه الحكمة خفيت على كثير من المفسرين[2].

﴿لِمَ تُؤۡذُونَنِي ﴾ وتفسيره: إنهم كانوا يؤذونه بأنواع الأذى قولا وفعلا، فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ وغير ذلك، وقد يكون الأذى في مخالفة أمر رسول الله موسى عليه السلام وعصيانه، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٧٧).

(٢) انظر: المرجع السابق.

تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٢١]، فقالوا ردا وتمردا وعصيانا: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤] .

وأرى من شدة الترابط النصي- في الآيات الكريمة أن الإيذاء المقصود في قول موسى عليه السلام هو العصيان بترك الجهاد المذكور في سورة المائدة، وذلك لارتباطها العظيم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ، فالبنيان المرصوص شاهد على وحدة القول والفعل .

«ولما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل، وهو راجع إلى الكذب، فإن في ذلك معنى الإذاية للرسول ﷺ ، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى عليه السلام، وقوله لقومه: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى ﴾، وإذايتهم له كان بانتقاصه في نفسه، وجحود آيات الله تعالى، واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه»[(١)] .

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ وهذه محصلة الأذى ، فالزيغ الميل عن الحق، «أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان»[(٢)] .

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي لا يوفق إلى إصابة الحق الذين اختاروا الكفر على الإيمان، والضلال على الهدى، والفرقة على الوحدة، وهو مشابه لتذييل الآية في سورة المائدة، فقد ذكر موقف موسى عليه السلام من أولئك القوم المخالفين الناقضين لوعودهم، قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى

(١) البحر المحيط، (٨/ ٢٥٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، (٨/ ١٠٩).

ﭐلْقَوْمِ ﭐلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥-٢٦] .

من اجل هذا صدق عليهم وصف الفاسقين بتأكيد رب العالمين لوصفهم بذلك مرتين، في سورة المائدة وفي سورة الصف، «وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة، ومؤذن بعلته، أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق، المصرين على الغواية والضلالة، هداية موصلة إلى ما يوصل إليها، فإنها شاملة للكل من جنس فعلهم، وهذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم ويرتضيه الذوق السليم»(١).

ويوضح الجدول التالي الترابط النصي بين وحدة الصف فيما سبق من الآيات وقصة موسى عليه السلام:

جدول رقم (٣)

الآية	الكلمة	نوع الترابط	التوضيح
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾	رَسُولُ ٱللَّهِ	لفظي	ارتباط الأنبياء كالبنيان المرصوص.
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ﴾	يَٰقَوْمِ	لفظي	ارتباط وحدة الصف بتحقيق الانتماء بين النبي وأمته.
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	زَاغُوٓا۟ - أَزَاغَ	لفظي	مخالفة الفعل القول في الميل عن طريق الحق بعد وضوحه والعلم به.

---

(١) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٣-٢٤٤) (بتصرف).

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	لَا يَهْدِى	لفظي	الهداية : الدلالة على الخير ووضوح طريق الحق، فنفي الهداية عقوبة كاملة على الأذى الذي تعرض له موسى عليه السلام ، وذلك لارتباط الهداية بالتوافق بين القول والفعل ، فعدم الهداية تأكيد للعقوبة المغلظة الشديدة وهي المقت ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ ، فالهداية أعظم مطلوب ، والحرمان من الهداية هو من أعظم المقت والبغض.

المطلب الثاني: وحدة الصف في قصة عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

هذه الآية الكريمة تربط بين النص القرآني الكريم و براعة الاستهلال في افتتاحية السورة ومحورها المتميز في الوحدة الموضوعية للسورة، فقد جاء الموضوع الأساسي للسورة وحدة الصف ، وضرب لذلك مثالين من قصة موسى وعيسى عليهما السلام ، وفي ذلك ارتباط لكلا القصتين لما يتطلبه موضوع السورة وروابطها اللفظية والمعنوية.

وفي«ذكر تبشير عيسى بمحمد ﷺ إدماج في خلال صفوف الأنبياء، الذي هو

نظير ما أوذي به موسى من قومه، وما أوذي به عيسى من قومه، مما يؤيد به النبي ﷺ، ويثبت به فؤاده ، ويزيده تسلية، وفيها تخلص إلى أن ما لقيه محمد صلى الله عليه وسلم من قومه نظير ما لقيه عيسى من بني إسرائيل»[(١)].

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ « فقد بشر كل نبي قومه بنبينا محمد ﷺ ، والله أفرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا ﷺ ، فبين أن البشارة بنبينا عمت جميع الأنبياء واحدا بعد واحد، حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام»[(٢)].

وفي هذا الموضع يتضح عظمة القرآن الكريم في الدعوة إلى وحدة الصف بين الأمم ، حيث تضمنت هذه الآية بشارة الأنبياء بنبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وتوثقت عرى الإخاء بين الأمم واجتماع الكلمة بوجوب الإقرار بنبوة نبينا محمد ﷺ ، والإيمان برسالته ونصرة دعوته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اختلف المفسرون في عود الضمير (هم) هل يعود على عيسى عليه السلام أم على محمد ﷺ ، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي المعجزات التي تبين أنه جاء من عند الله.

واختار الإمام الطبري في تفسير الآية بقوله: « فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوته، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: ما أتى به لأنه

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٨٦)(بتصرف).

(٢) البحر المحيط، (٨/ ٢٥٩).

ساحر»[1].

ومن المعلوم أن السحر هو خداع وكذب وباطل كله، وفيه من الأقوال الكاذبة والأفعال المخالفة ما يبين بطلانه، لذا جاء وصف السحر بأنه ﴿ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بين واضح لا يخفى على العقلاء وذوي الألباب، وفي نسبة الحق البين إلى السحر المبين دعوة ظاهرة لشق الصف الواحد ودعوة إلى التفرق والتشرذم والخلاف دون دليل ولا برهان.

وقد جاء في ختام السورة بيان دعوة الحق وأثرها في وحدة الصف، وسيأتي تفسيرها -لاحقا-.

وفي الجدول التالي تتبين الروابط النصية في قصة عيسى عليه السلام وما قبلها من الآيات الكريمة:

جدول رقم (٤)

الآية	الكلمة	نوع الترابط	التوضيح
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ﴾	إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم	لفظي	الترابط بين رسل الله كالبنيان المرصوص.
﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾	ٱلتَّوْرَىٰةِ	لفظي	الترابط بين الكتب المنزلة لأن مُنَزِّلها واحد جل جلاله
﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾	بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى	لفظي	الترابط بين رسل الله كالحلقة المصفوفة.

(١) جامع البيان، (٢٨/ ٩٩) (بتصرف).

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	سِحْرٌ	معنوي	ارتباطهم بالفاسقين الذين يقولون ما لا يفعلون، فالسحر فيه نوع من التخييل الكاذب، فاجتمع لهم القول الكاذب ، والفعل الكاذب ، والتخيل الكاذب، مع وجود البينات، وهذا من عقوبةالله بهم الذي هو من المقت الشديد؛ لأنهم شقوا الصف الواحد بأقوالهم الباطلة.

المبحث الرابع
آثار الدعوة إلى وحدة الصف

لما كان موضوع السورة الأساسي الدعوة إلى وحدة الصف، واستعمال القرآن الكريم الوصف الصريح لمدح هذا الصف بالبنيان المرصوص، وضرب الأمثلة من قصتي موسى وقومه وعيسى وقومه، فقد انتقل الخطاب القرآني الكريم إلى توضيح آثار وحدة الصف على المسلمين، وأساليب المشركين في شق صف المسلمين ، و الآثار التي ستعود على الأمة الإسلامية عند تحقيق الدعوة إلى وحدة الصف، والترهيب من شق الصف وآثار ذلك، وتوضيح ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول : آثار افتراء الكذب على وحدة الصف

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف:٧-٩].

يذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة التشنيع على الكذب وهو أقبح الخصال، خاصة بعد ما صدر منهم تلك المقالة الشنيعة بوصف الحق الذي جاءهم بالسحر المبين.

كما وصف الله تعالى هذا القول الباطل بالظلم الذي هو مجاوزة الحد ، والتقدير: إنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب على الملك القدوس﴿ اللَّهِ ﴾، والحال: إنهم يدعون إلى الإسلام الدين الحق الذي يكفي فيه الاعتراف بالحق لما فيه من الفضائل، والنهي عن الرذائل ، فيجعلون مكان الإجابة لهذا الداعي افتراء الكذب في تلك الحالة الحسنة[1].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٧/ ٥٨٢).

« فمن أشد الناس ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي ﷺ : هو ساحر، ولما جاء به سحر، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يوفق الله القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به»[١].

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: وصف المخالفين بين أفعالهم وأقوالهم بأشد الأوصاف وأقبحها، وهو الظلم لما يصدر منهم من المقالات الفاسدة الكاذبة والأفعال القبيحة المعادية لله ورسوله، فناسب وصفهم بالظلم الذي يبطل الدعوة إلى وحدة الصف، فاستخدم الخطاب القرآني أسلوب الترهيب بالمنع من الهداية والتوفيق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، ذلك لأن الظلم عاقبته وخيمة على الفرد والمجتمع، وهو داء وبيل إذا أصيبت به الأمة فقد حق عليها الفرقة والشقاق والعذاب.

ثم قال تعالى معقبا بحال أولئك الظالمين: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي : ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ « أي: يريدون أن يطفئوا دينه، أو كتابه، أو حجته النيرة، واللام مزيدة لما فيها من معنى التأكيد»[٢].

فالمناسبة العظيمة بين افتراء الكذب والغاية المرادة من هذا الكذب المفترى وهي إطفاء نور الله بأفواههم المريضة وكلامهم الباطل الدنيء، ففي الآية الكريمة فضح لغاياتهم وإراداتهم الخبيثة الظالمة، من أجل هذا وصفهم في الآية السابقة بأشد الظلم، وذلك لأنهم أرادوا: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ : « أي لأجل أن يطفئوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾، أي الملك الذي لاشيء مثله يكافئه، ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بما يقولون من الكذب، الذي لا منشأ له إلا الأفواه، لأنه لا اعتقاد له في القلوب، لكونه لا يتخيله عاقل،

---

(١) جامع البيان، (٢٨/ ٩٩).

(٢) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٤).

فهم في ذلك كالنافخين في الشمس إرادة أن يمحو نفخهم عينها ، وينقص شينهم زينها، فمثل إرادتهم إخفاء القرآن بتكذيبهم وجميع كيدهم بمن يريد إطفاء الشمس بنفخه فهو في أجهد وأضل الضلال»[1].

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ في هذا المقطع يتضح قوة الترابط النصي بين الآيات الكريمة الدالة على أهمية الثبات على وحدة الصف، ذلك بأن الله تعالى تكفل بنصر دينه الحق ، الذي أرسل به رسله موسى وعيسى ومحمد ﷺ وإظهار نور الإسلام في سائر الأقطار.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي مهما بذلوا من أسباب كراهته وعداوته، ووصفه بالقول المفترى والكذب الفاضح؛ فإنهم مغلوبون[2]، لما عليه أهل الحق من وحدة الصف كالبنيان المرصوص أمام هذا الكفر والضلال المبين.

فشبه حالهم تشبيها بليغا يدل على سخافة عقولهم وضعف صفوفهم، فكأنهم بهذه الافتراءات والأكاذيب يريدون أن يطفئوا نور الله، وقيده﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ زيادة في نكالهم وتوبيخهم بأنهم لا استطاعة لهم في مغالبة هذا الحق، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها بسبب كفرهم الشديد، والذي به ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فأصبحوا يفترون بما لا يفهمون.

المطلب الثاني : آثار اتباع الدين الحق على وحدة الصف

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

قدمت هذه الآيات الكريمة المدح والثناء على رسول الهدى ، وذلك لأن الله أراد ببعثته المباركة أن يعم (الهدى) وهو العلم النافع، ونشر (الدين الحق) وهو

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ٥٨٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٧٩٧.

العمل الصالح، فاجتمع في الآية الكريمة مبدأ عظيم من مبادئ الدين الإسلامي، وهو ضرورة اقتضاء العلم العمل، وقد أشار الخطاب القرآني الكريم إلى ضرورة ارتباط العلم بالعمل، وظهر هذا جليا في هذا الموضع الكريم من هذه السورة العظيمة.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به علما وعملا، «ولقد أنجز الله وعده، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام»[١].

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ « وخص المشركون بالذكر هنا إتماما للذين يكرهون إتمام هذا النور، وظهور هذا الدين على جميع الأديان، ويعلم أن غير المشركين يكرهون ظهور هذا الدين لأنهم أرادوا إطفاء نور الدين لأنهم يكرهون ظهور هذا الدين، فحصل في الكلام احتباك»[٢].

وفي الجدول التالي يتضح الترابط النصي بين الآيات الكريمة وموضوع السورة:

جدول رقم (٥)

الآية	الكلمة	نوع الترابط	التوضيح
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾	أظلم	لفظي	الظلم : مجاوزة الحد بمخالفة الفعل القول، فهو من الظلم الذي يشق الصف الواحد.

(١) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٥).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٩٣).

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾	افترى- الكذب	لفظي	الافتراء هو الاختلاق، الكذب: عكس الصدق، ويتضمنان الذم لمن قام بافتراء الكذب بقولهم إنه ساحر أو ما جاء به السحر، وهو أحد مبطلات وحدة الصف.
﴿يُرِيدُونَ﴾	يريدون	لفظي	الإرادة فيها تعبير عن النوايا الباطنة والغايات المرادة
﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	بأفواههم	لفظي	وصف لأفعالهم المجانبة للصواب، وهو افتراء الكذب مع وجود البينات.
﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	الكافرون	لفظي	تدرجت الآيات الكريمة في وصف أفعال هؤلاء المخالفين بين أقوالهم وأفعالهم؛ بالفاسقين ثم الظالمين ثم وصفهم بما يليق بهم وهم: الراسخون في صفة الكفر، والمجتهدون في المحاماة عنه.
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	الهدى ودين الحق	لفظي	فالهدى واحد ودين الحق واحد وهو أدعى لوحدة الصف.

المبحث الخامس

الجزاء على وحدة الصف

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٠-١٣].

في هذا المقطع من السورة الكريمة استخدم الخطاب القرآني التفاتة جميلة للترغيب والحث على وحدة الصف، بذكر بيان دقيق لجزاء وحدة الصف، وقد وعد الله تعالى على هذا الأمر بوعود جميلة، وذكر هذا البيان بأسلوب جميل ورائع، وتوضيح ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان وسائل الفوز العظيم في الآخرة

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هذه الآية الكريمة دلالة على مقصود السورة الكريمة في الإجابة عن سؤال السائلين، أي الأعمال أحب إلى الله؟ وفيها عود على بدء في الآيات الكريمة وترابطها النصي- العظيم، فبعد أن عززت الآيات الأولى من التوجه إلى الله والطريق الموصلة إلى رضاه ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ وضربت لهم الأمثال، فانتقل الخطاب القرآني من مجال إلى مجال في وحدة مترابطة لفظا ومعنى، وأعيد النداء إليهم بأحب أسمائهم وأجمل أوصافهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ فيها معنى الدلالة والإرشاد والتحبيب والتقريب للنفوس الصادقة المقبلة على الهدى ودين الحق [1]، فلماذا وضع لفظ ﴿ تِجَٰرَةٍ ﴾ وهي

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٨/ ٢٦١).

خاصة بالبيع والشراء في الخطاب القرآني، قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؟ فالبائع والمشتري لا بد أن يكونا في صف واحد بالاتصاف بالصدق والإخلاص، لتتم عملية البيع والشراء بنجاح وأمانة، فالتجارة الرابحة لها شرطان عظيمان لا بد من توافرهما في البائع والمشتري وهما: الأول: أن يتوافر فيهما الصدق الذي ينافي الكذب، و الثاني: تحقيق العدل الذي ينافي الظلم، كما أن هذه التجارة تجعل البائع والمشتري في صف واحد . والصف الواحد الأكمل هو اختيار التجارة مع الله بالشروط السابقة.

فأضافت هذه الآية الكريمة إلى معنى التجارة والخسارة فيها معنى إضافيا رائعا ومميزا لم يسبق إليه في أي لسان أو لغة ، وذلك بأن التجارة عبارة عن «معاوضة الشيء بالشيء، وكما أن التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر، والوصف بالرحمة الصبر على ما هو من لوازمه، فكذلك هذه التجارة وهي: التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، كما قيل في تعريف الإيمان، فلهذا جاء بلفظ التجارة، وكما أن التجارة في الربح والخسران، فكذلك في هذا، فإن من آمن وعمل صالحا فله الأجر، والربح الوافر، واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين»[1].

فذكرت هذه الآيات الكريمة الجزاء على وحدة الصف بالتجارة مع الله وهي الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالقول والفعل ، فمن فعل ذلك دله المولى الكريم على سبل الفوز العظيم، ووصف الجزاء بالنعيم المقيم﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ لمن آمن بالله ورسوله، ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: أي صدق في موافقة

---

(١) التفسير الكبير، (٢٩/ ٢٧٤) (بتصرف).

فعله قوله بالجهاد بالمال والنفس، اللذان هما من أعظم المحبوبات، فمن كانت تجارته مع الله خالصة وصادقة، كان مع أهل دين الله صفا واحدا في جهادهم للباطل كالبنيان المرصوص ، فاستحقوا بذلك الجزاء الحسن والفوز العظيم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ، وقد فسره بما قبله وهو:

- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مغفرة الذنوب .
- ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ دخول الجنات.
- ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾:حصول أنواع اللذات في تلك الجنات.

المطلب الثاني: تحقيق البشرى للمؤمنين في الدنيا

قال تعالى:﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالله العزيز الحكيم علم بعزته وحكمته فرح عباده بما ينالهم في الدنيا من الظفر على أعدائهم، فأراد الله أن يكافئهم بحسن فعالهم، وصدق أقوالهم، فحقق لهم في الدنيا من النصر الكبير والبشرى العاجلة، وهي تتضمن:

أ- نصر من الله : «والمراد به النصر العظيم ، وهو نصر فتح مكة، فإنه كان نصرا على أشد أعدائهم، الذين فتنوهم وآذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وألبوا عليهم العرب والأحزاب، وراموا تشويه صورتهم، وقد انضم إليه نصر الدين بإسلام أولئك الذين كانوا قبل أئمة الكفر ومساعير الفتنة، فأصبحوا مؤمنين إخوانا»[(١)]، وهو ما جاء في قوله تعالى:﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧] ، وقوله تعالى:﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٩٦).

ب- الفتح القريب : وهذا من معجزات النبوة بالإخبار بالغيب .

ج- البشارة الجامعة لجميع المؤمنين السابقين واللاحقين الذين اهتدوا لهذا الدين الحق، وقاموا بأسباب الفوز العظيم من الإيمان والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وكانوا مع إخوانهم صفا واحدا، فلهم عظيم البشارة بالإيمان، وحسن تمكنه في قلوبهم(١).

وقدم الخطاب القرآني الكريم الفوز العظيم في الآخرة على نصر الدنيا والفتح القريب، لأنه أهم لدوامه، ولما في الإنسان من حب العجلة، فأدبه وهذبه بتقديم الآخرة على الدنيا، ليهتم بها المؤمن المجاهد، فيقوم بما أوجبه الله عليه في الدنيا، لينال الفوز العظيم في الآخرة.

ويتضح في هذه الآية الكريمة قوة الترابط بين سورة الصف وسورة الممتحنة التي ابتدأها المولى الكريم باللوم والعتاب على من والى أعداء الله وشق صف المسلمين ، فطوى ما قدمه من الإنذار والتوبيخ بالبشارة والتمكين إيذانا ببناء الصف الواحد، وتحقيقا لمن كان الإيمان راسخا في قلوبهم ، فاستحقوا عليه حسن الجزاء في الدنيا والآخرة(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لفتة عظيمة لمن لم يشارك بالجهاد في سبيل الله ، لكن تحقق الإيمان في قلبه، وكان من أهل وحدة الصف بقوله وفعله، ولم ينابذ المجاهدين في سبيل الله ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال الرسول ﷺ: ((**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا، وجبت له الجنة**))، فعجب لها أبو سعيد الخدري راوي الحديث، فقال: أعدها علي رسول الله

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم،(٨/ ١١٢).

(٢) انظر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٧/ ٥٨٧).

فأعادها عليه، ثم قال: ((**وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله**))(١).

وفي جمع المؤمنين في البشارة بعد أن أفرد ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ دلالة على عظم ترابط المشاعر الإيمانية، واستعمال لفظ البشارة يوحي بتكرار البشارة ودوامها وثباتها في حياة المؤمنين عموما، وهذا من أعظم الدلائل على ضرورة وحدة الصف وآثارها في إسعاد المؤمنين وتآزرهم ونصرتهم.

من أجل هذا ختم الله تعالى تلك البشارات العظيمة والوعود الفاضلة بضرب المثل بأهمية نصرة الله والوقوف صفا واحدا أمام أعداء الله ومناوئيه.

المطلب الثالث : توجيه أنظار المؤمنين إلى المثل في وحدة الصف

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف:١٤].

وفي مقدمة هذه الآية العظيمة اختصار رائع لكل مطالب السورة العظيمة وهي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ أي: «بالأقوال والأفعال ، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على تنفيذه على الغير، وجهاد من عانده، ومن نابذه، بالأبدان والأموال، وجهاد من نصر بالباطل بما يزعمه من العلم، ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة، باب (٣١) بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات، ح(١٨٨٤).

ومن نصرة دين الله؛ تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(١)].

ثم هيج الخطاب القرآني المؤمنين الصادقين على الامتثال لأمر الله والاقتداء بالطائفة المنصورة، وهم أنصار الله من الحواريين، الذين اتبعوا وآمنوا بعيسى عليه السلام، وهذه دعوة صريحة لوحدة الصف بين المؤمنين الصادقين من أنصار محمد ﷺ وأنصار عيسى عليه السلام الذين أخذ عليهم الميثاق بالإيمان بنبوة محمد ﷺ عندما بشر به في الآية السابقة ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ أي: «لما بَلَّغَ عيسى ابن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة؛ فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم من اليهود ، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقا وشيعا، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة؛ الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل: إنه الله»[(٢)].

فهذه الآية الكريمة بيان مختصر لكل مطالب السورة بالدعوة إلى وحدة الصف بتحقيق ذلك في الواقع الذي ضربه بالأنموذج الصالح من طائفة أنصار الله من الحواريين الذين اتبعوا عيسى عليه السلام.

ثم أخبرت الآية الكريمة عن مدى التوافق الفعلي لوحدة الصف في أنصار الله من الحواريين فقال تعالى:﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ « فرع على قول الحواريين ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ بالإخبار بأن بني إسرائيل افترقوا طائفتين؛ طائفة آمنت بعيسى

(١) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٧٩٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ١١٣) (بتصرف).

وما جاء به، وطائفة كفرت بذلك، وهذا التفريع يقتضي كلاما مقدرا، وهو فنصروا الله بالدعوة والمصابرة عليها، فاستجاب بعض بني إسرائيل، وكفر بعض، وإنما استجاب لهم من بني إسرائيل عدد قليل»[١].

﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ «قال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أنه لما رفع عيسى عليه السلام تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه، وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا، فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين، حتى بعث الله محمدا ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة»[٢].

ثم ذيل الآية بتذييل رائع ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾، أي «قويناهم بالحجة أو بالسيف، وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ أي غالبين»[٣].

وأعظم ذلك بعثة محمد ﷺ وإنزال الكتاب الحق المهيمن على جميع الكتب السابقة، الذي فيه خبر رفع عيسى عليه السلام، فكان تأييد الطائفة المؤمنة من أنصار الله من الحواريين الصادقين.

وفي هذا الختام الرائع عاد جميل الكلام على أوله من تحبيب المؤمنين للدعوة إلى وحدة الصف، ورسوخ الإيمان، وحصول الإتقان في جميع الأركان للفوز بحسن الجزاء و نعيم الجنان.

وفيما يلي الجدول الذي يبين الروابط اللفظية والمعنوية بين الآيات وموضوع

---

(١) التحرير والتنوير،(٢٨/ ٢٠٢).

(٢) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (٨/ ١١٠) وانظر: جامع البيان، (٢٨/ ١٠٣).

(٣) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٤٦).

السورة الكريمة:

جدول رقم (٦)

الآية	الكلمة	نوع الترابط	التوضيح
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	النداء (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)	لفظي	ارتباط الإيمان بوحدة الصف فكأن جميع المؤمنين السابقين واللاحقين داخلون في هذا النداء
﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	لفظي	تحقيق البشارة العامة لجميع المؤمنين الذين قاموا بالأسباب الصحيحة لوحدة الصف وهي: ١ - الإيمان بالله. ٢ - الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾	ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ	لفظي	الدعوة إلى نصرة الله بالأقوال والأفعال والمسميات لتكوين صفا واحدا أمام العدو

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمــة

بعد أن من الله تعالى علي بإتمام هذا البحث في الوحدة الموضوعية في سورة الصف الكريمة ، أختم بحثي بعدة نتائج من أهمها:

- أهمية التدبر في الخطاب القرآني الكريم ، والعناية بموضوعاته الأصيلة لمعالجة الكثير من الأخطاء المنهجية الشائعة في الأمة الإسلامية كالتفرق والاختلاف.

- تقرير الخطاب القرآني الكريم لقاعدة الصف المسلم وضرورته لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.

- لفت الأنظار إلى دعوة وحدة الصف، وآثاره في البناء المجيد للأمة الإسلامية وتمثيله بالبنيان المرصوص في سورة كاملة هي سورة الصف.

- ضرورة الاهتمام ببناء الجماعة المسلمة على أساس من وحدة الصف بين المؤمنين ، وتوجيه الفرد المسلم للصفات الفاضلة اللازمة لبناء هذا الصف.

- براعة الاستهلال في هذه السورة الكريمة بتسبيح جميع المخلوقات في السموات والأرض لله صفا واحدا ، وارتباطها العظيم بمقاصد السورة الكريمة.

- جمال الخطاب القرآني وبديع بيانه في تنويع أساليب الدعوة إلى وحدة الصف تأكيد لأهميته في بناء المجتمع المسلم وازدهار حضارته بين الأمم .

- ضرورة دراسة وحدة النص القرآني والترابط بين موضوع السورة الكريمة وسياق الآيات، والتأكيد على فهم وتحليل روابط السورة الداخلية والخارجية بموضوع السورة.

- من أهم الأسس في الدعوة إلى وحدة الصف ضرورة موافقة الأفعال للأقوال في كل حين، وتعريض المخالفين لعقوبة مقت الله الشديد.

- أهمية تقريب الدعوة الكريمة إلى وحدة الصف بين الأنبياء عليهم السلام، وذكر النماذج من الأمم السابقة لتأخذ الأمة الإسلامية العظة والعبرة منها .

- استخدام أسلوب الترهيب من الفرقة والخلاف بين المسلمين، وآثارها على وحدة الصف .
- بيان الأساليب الباطلة التي ينتهجها المخالفون لتشتيت المؤمنين عن أهدافهم الخيرة ، وتفريق المؤمنين إلى أفراد متنازعين.
- روعة الخطاب القرآني في الترغيب في وحدة الصف، وما تمليه هذه الوحدة من الآثار الطيبة على الجماعة المسلمة في تأدية فضيلة الجهاد في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته في الأرض.
- ترتيب الجزاء الحسن والنعيم المقيم لمن أعان على وحدة الصف في الجماعة المسلمة وهيأ لها أسباب التكافل والترابط كالبنيان المرصوص ، وهي التجارة الرابحة مع الله.
- أهمية الدعوة إلى أن يكون المؤمنون أنصار الله بأقوالهم وأفعالهم، وأن يكون الثبات على الإيمان والعمل بأحكامه وتقرير فضائله وآدابه هو الأساس الكريم لوحدة الصف.
- أهمية نشر ما يستحقه أنصار الله من التأييد والتوفيق، وبذل العون فيما بينهم لإقامة دين الله ومنهجه الحكيم في البشرية عموما.

وأوصي بعد هذه إتمام هذه الدراسة القرآنية أن يهتم الباحثون بالأسس العلمية لوحدة الصف وآثارها على الفرد والمجتمع من خلال دراستها من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية عموما، والعمل بهذه الدعوة القرآنية، مما يترتب عليه وحدة الصف بين الأجيال، ونصر الله للمسلمين ، وإعادة مقدسات المسلمين وأراضيهم، ووضع لبنة طيبة للأمة الواحدة والصف الواحد والطريق الواحد.

قائمة المراجع

- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن بن إبراهيم السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار التراث: القاهرة،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تعليق وتخريج:مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير: بيروت،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، وتتمته لتلميذه: عطية محمد سالم، الطبعة الأولى- دار إحياء التراث العربي : بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- **بدائع التفسير** الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمعه ودَرَس أحاديثه: يسري السيد محمد- الطبعة الأولى- الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور،- بدون بيانات-

- **تفسير أبي السعود** ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم))، محمد بن محمد بن أبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي:بيروت.

- **تفسير البحر المحيط** ، محمد بن يوسف بن أبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت:١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- **تفسير البغوي** (معالم التنزيل)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ، حققه : محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة-الرياض:دار طيبة،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **تفسير القرآن الحكيم** المعروف بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، بيروت : دار المعرفة-بدون تاريخ النشر .

- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ .

- **التفسير الكبير**، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- **تفسير الكشاف** عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وعناية: خليل مأمون شيما، الطبعة الأولى، دار المعرفة: بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي- الطبعة الأولى- عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ .

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود محمد شاكر- الطبعة الأولى- بيروت:دار إحياء التراث العربي،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري، تحقيق:عبد الرزاق المهدي،الطبعة

الأولى، بيروت:دار الكتاب العربي،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

- **خارطة المفاهيم القرآنية**، الطبعة الأولى، السيد عمر، دار الفكر: دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- **الزيادة والإحسان في علوم القـــرآن**،محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات: جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- **شرح صحيح مسلم** ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر:دمشق .

- **فتح الباري شرح صحيح البخـــاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، طبعة : دار الفكر .

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية مـــن علـــم التفســـير**، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق : د.عبدالرحمن عميرة- الطبعة الثانية- دار الخاني: الرياض - دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، الطبعة الثانية عشرة، دار العلم للطباعة والنشر: جدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **لسان العرب** ، ابن منظور، تنسيق وتعليق : علي شيري - الطبعة الثانية- بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- **المحرر الوجيز**، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الطبعة الأولى، الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.-بدون تاريخ النشر.

- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة:بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **موسوعة الكتب الســـتة**، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ - الطبعة الأولى- دار السلام : الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- **موسوعة نـــضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكـــريم**، إشراف: د.صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن ملوح- الطبعة الثانية- دار الوسيلة: جدة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الثانية-دارطيبة: الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المجلات

- **مجلة الدراسات القرآنية**، مركز الدراسات الإسلامية: كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، المجلد التاسع، العدد الثاني،٢٠٠٧م.

- **وحدة الأمة**، مجلة علمية يصدرها المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة الثانية، العدد الثاني، ديسمبر،٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	٩٢
المبحث الأول: براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته وروابطه	٩٧
المطلب الأول: براعة الاستهلال بالتسبيح ومدلولاته	٩٧
المطلب الثاني: براعة الاستهلال وروابط السورة	٩٨
المطلب الثالث: الترابط بين موضوع سورة الممتحنة وموضوع سورة الصف	٩٩
المطلب الرابع: الترابط بين افتتاحية سورة الصف و افتتاحية سورة الجمعة	١٠١
جدول رقم (١)	١٠٣
المبحث الثاني: موضوع السورة الأساسي"الخطاب للمؤمنين بالدعوة إلى وحدة الصف"	١٠٤
جدول رقم (٢)	١١٢
المبحث الثالث: ضرب المثل في وحدة صف الأنبياء- عليهم السلام-	١١٣
المطلب الأول: وحدة الصف في قصة موسى عليه السلام	١١٤
جدول رقم (٣)	١١٧
المطلب الثاني: وحدة الصف في قصة عيسى عليه السلام	١١٨
جدول رقم (٤)	١٢٠
المبحث الرابع: آثار الدعوة إلى وحدة الصف	١٢٢
المطلب الأول: آثار افتراء الكذب على وحدة الصف	١٢٢
المطلب الثاني: آثار اتباع الدين الحق على وحدة الصف	١٢٤
جدول رقم (٥)	١٢٥
المبحث الخامس: الجزاء على وحدة الصف	١٢٧
المطلب الأول: بيان وسائل الفوز العظيم في الآخرة	١٢٧
المطلب الثاني: تحقيق البشرى للمؤمنين في الدنيا	١٢٩
المطلب الثالث: توجيه أنظار المؤمنين إلى المثل في وحدة الصف	١٣١
جدول رقم (٦)	١٣٤
الخاتمة	١٣٥
قائمة المراجع	١٣٧